

تحقيق

## 20 ألفاً من «مجهولي النسب» في حلب وحدها؟

# أطفالك بلا آباء

حكاية أسرة أبو محمّد تلقي الضوء على كوارث الحرب من زاوية بعيدة إلى حد كبير عن مساقط الضوء. أسرة حلبية صغيرة تشارك في صناعة مأساتها فاعلون كثر وهن بينهم بعض وسائل الإعلام، شأنها شأن آلاف الأسر في حلب وغيرها. مختصر الكارثة الوطنية يقول إنّ عشرات الآلاف من الأطفال الذين وُلدوا في ظل الحرب في مناطق خارجة عن سيطرة الدولة لا وجود لهم على سجلاتها، والحك الوحيد المتاح تسجيلهم «بلا نسب». في حين تصفهم بعض الأصوات بانهم «أولاد حرام» و«نتاج جهاد نكاح»

### صهيب عنجربني

«الحمد لله، من كم يوم سافر ع تركيا قبل ما يذبح أخن» يقول أبو محمّد مكفكفاً دموعه. يتحدث الرّجل عن ابنه الوحيد بحرقه كبيرة «ما لحقنا نتهنى بشوفتو (برؤيته) بعد ما انحرمتا منها كذا سنة» يقول أبو محمّد لـ «الأخبار». قبل الحرب كان الرّجل الخمسيني يقطن في حي الصاخور في مدينة حلب، هو وزوجته

وابنتان وابن وحيد. حين حطت الحرب رحالها في حلب نزحت الأسرة مثل آلاف الأسر الحلبية، أسبوع في أحد المساجد التي تحولت إلى مقر إقامة مؤقتة كان كافياً لاستئجار منزل صغير في حي الحمدانية. بعد سنة أشهر بدأت المخزرات بالتناقص، لم يكن العمل الجديد كافياً سوى لسد المتطلبات اليومية. «عملنا بسطة صغيرة أنا ومحمّد بالفرقان، هونيك (في القسم الشرقي) كنت

أعمل في ورشة خياطة». بعد نقاشات طويلة قرّر الرجل العودة وأسرته إلى منزله القديم باستثناء بكره محمّد «كان عمرو 22 سنة وما عنديو عسكرية (معفى من الخدمة الإلزامية لأنه وحيد) استلم البسطة، واتفق مع شابين يسكنو معو ويتعاونو بدفع الأجر». على هذا المنوال سارت حياتهم فترة ظنّوا أنها لن تطول، يتواصلون هاتفياً طالما سمح توافر الخدمة بذلك، ويزورهم محمّد مرة في الأسبوع طالما كانت الحركة متاحة عبر معبر بستان القصر الشهير، قبل أن تتوقف الزيارات تماماً منتصف عام 2013.

### «على سنة الله ورسوله»

في القسم الشرقي عمل الرجل في مهنته فترة قصيرة، قبل أن يبدأ في التنقل بين أعمال عدة مع توقف معظم الورش عن العمل «اشتغلت فترة شوفير سوزوكي، بعدين بعث كم شغلة من أغراض البيت جمعت راس مال صغير وصرت أشتري وبيع خضرة». في منتصف عام 2014 ساءت ظروف أبو محمّد الاقتصادية والصحية «صرت أشتكي من ضهري كتير، وبعدين اكتشفت إنو معي ديسك». يروي الرجل كثيراً من تفاصيل البؤس التي مرّ بها، في ما يبدو مقدّمة لتبرير «خطيئته» التي أقدم عليها بعد شهرين قليلة «والله يا أستاذ لولا الويل اللي دقناه ما كنت وافقت، بس العين بصيرة والإيد قصيرة، ما بسامح حالي ليوم القيامة». أما «الخطيئة» فكانت موافقة أبو محمّد على تزويج ابنته من أحد عناصر المجموعات المسلحة.

خلال عامين كان خاطبون كثر قد تقدموا لطلب ابنتيه «الصغيرة ولد (طفلة) عمرا يا دوب 13 سنة ما قبلت أبدا، الكبيرة صار عمرا 18 سنة، بس والله ما جبرتا ع شي. الشب سوري بس مو حلب، كان اسمو أحمد أبو عمر». لم يُطلع أبو محمّد ابنه البكر على تفاصيل كثيرة، أخبره فقط أنّ شاباً قد تقدّم لخطة شقيقته وأنهم وافقوا بعد أن سألوا عنه وعرفوا أنه «ابن حلال». لم تكن هناك فترة خطوبة، أيام قليلة تمّ بعدها عقد القران «جاب معو شيخ وشهود، وجوزناهن على سنة الله ورسوله». بعد الزواج صارت لأسرة أبو محمّد مخضصات دائمة من الخبز والمواد الاستهلاكية

والحصى الغذائية بفضل الصهر الجديد الذي قرّر بعد فترة الانضمام إلى «جبهة النصرة»، وصار يُعرف باسم «أبو عمر أنصار». يُعلق الرجل على الأمر باختصار «جربت أكي معو بالقصة وأنصحو جاوبني: «إذا بتريد ما تتدخل يا عمو». إيش بيطلع بالإيد؟». كان الصهر «يغيب ويرجع، بغيابو تقعد البنّت عندنا، وبس يرجع تروح ع بيت جوزا». في نيسان 2015 اختفى أبو عمر «ناس قالوا انخطف، ناس قالوا راح بمهمة وما رجع، وناس قالوا انقتل»، أما الزوجة فكانت حاملاً في شهرها الثامن.

استقبلت أسرة أبو محمّد حفيدها الأوّل بلا أب له «سمّيناه محمود، أمو نشف حليبيها من الفهر عمرها 20 سنة وهي أرملة وعندا ولد، وأنا صرت لوم حالي باليوم 100 مرة بس الندم ما بينقع». تناقضت «الحصى» التي كانت تصل إلى منزل الأسرة تدريجياً، قبل أن تتوقف تماماً بعد

بضعة شهور. عادت الأسرة لتعيش ظروفاً مأسوية شأنها شأن معظم سكّان الأحياء الشرقية «لا شغل، ولا أكل، والضرب فوق روسنا كل الوقت». في الطرف الآخر من المدينة كان محمّد يواصل حياته، وينتظر «الفرج» بدوره. كان على اطلاع على معظم تطورات حياة أسرته بما فيها اختفاء «صهره» من دون أن يعلم حقيقة «عمل» المختفي، يتواصل مع الأسرة، يجادث شقيقته ويهون عليها ويعدّها أن يكون أباً لابنها.

### في مهبط «الذبح»

مع الدفعات الأولى للخارجين من القسم الشرقي خرجت أسرة أبو محمّد. كان الرجل يتحسب لردّ فعل ابنه حين يعرف الحقيقة كاملة، لم يتواصل معه فور خروجهم، تدبّر أمر إقامة الأسرة مؤقتاً عند أحد جيرانه القدامى، ثم اتصل بابنه وذهب لملاقاته. «قررت أكيلو بالتفصيل،

### بالرقام

بأشر فريق برنامج الدعم القانوني عمله بتاريخ 17 كانون الأول 2016، عبر فريق مكوّن من 26 محامياً وإدارياً. ووفقاً لبيانات تلقّتها «الأخبار» من البرنامج فقد شمل المسح مراكز جبرين المؤقتة، مساكن هنانو، الأرض الحمراء، الصاخور والشعار. تم الوصول خلال عملية المسح التي امتدت من 2016/12/17 وحتى 2016/12/21 إلى ما يقارب 1240 شخصاً، وأغلب الحالات القانونية التي تمت مواجهتها هي: نقص في الوثائق الشخصية كالبطاقات الشخصية والعائلية وحالات تسجيل الأطفال وحالات تثبيت الزواج والنسب. يقتصر عمل البرنامج على ما تتيحه التشريعات النافذة، وحتى الآن لم يُثمر سوى عن تسجيل 63 طفلاً (أعمار 21 منهم دون السنة، و42 فوق السنة) علاوة على توزيع 214 هوية شخصية و40 بطاقة عائلية.



### تقرير

## دير الزور: «داعش» يواصل هجومه... والمطار صامد

### أيهم مرعي

عاد تنظيم «داعش» لتكثيف هجماته على مواقع الجيش السوري في مدينة دير الزور، بعد يوم من الهدوء شهدته جبهات القتال في المدينة ومحيطها. التنظيم صدّ هجماته أمس في محيط المطار العسكري، فهاجم نواء التامين، ومحيط مبنى الكهرباء على مشارف حي هرايش، فبدأ هجومه بسيارة مفخخة دمرها الجيش قبل وصولها إلى نقاطه، ليدفع بعدها بعدد من «الانغماسيين»، ما أدى إلى سيطرته على مبنى شركة الكهرباء. في الوقت

ذاته، لجأ التنظيم إلى تشتيت قدرات الجيش الدفاعية، ومنعه من شن هجمات مضادة لإعادة فتح الطريق بين المدينة والمطار، من خلال مهاجمة محيط السكن الجامعي وتلة الرواد جنوب غرب المدينة، إلا أنّ الجيش تمكن من استيعابها، وصد الهجمات رغم كثافتها. ويبدو أنّ التنظيم يعمد من خلال تكثيف هجماته على محيط المطار، إلى السيطرة على حي هرايش، وتضييق الخناق على المطار تمهيداً للسيطرة عليه، وبالتالي إضعاف قدرات الجيش الدفاعية من خلال إفقاده أهم قاعدة عسكرية له، تشكل حالياً قوة بشرية وناربة

مهمة لحماية الأحياء المحاصرة في المدينة. إلى ذلك، واصل سلاح الجو السوري والروسي استهدافهما لكل محاور الاشتباكات وخطوط إمداد التنظيم، لمنعه من جلب تعزيزات إضافية، أو تدعيم قواته المهاجمة، وهو ما أجبر التنظيم على نقل عوائل المقاتلين الأجانب من بعض الأحياء عبر العبّارات النهرية، بالإضافة إلى حرق الإطارات والنظف الخام لتضليل الطيران وإعاقة حركته. إلى ذلك، نجحت الطائرات السورية في تنفيذ إنزال جوي عبر المظلات التي تحمل أدوية وطعاماً إلى المطار العسكري، لتعزيز صمود المقاتلين،

وعاود فرن هرايش العمل لتأمين الخبز للمناطق التي حوصرت في المطار والجفرة وهرايش. مصدر عسكري أكد في تصريح



عاود فرن هرايش العمل لتأمين الخبز للمناطق التي حوصرت



لـ «الأخبار» أنه «رغم كثافة الهجمات، إلا أنّ الجيش نجح في إحباطها، والحق خسائر كبيرة بصوف التنظيم». وأضاف المصدر إنّ «التنظيم سيسعى بكل ثقله للسيطرة على المطار العسكري، إلا أنّ حامية المطار تملك القدرات الكافية لصد الهجمات». ولفت إلى أنّ «الاستعدادات لا تزال مستمرة لشن عمليات معاكسة، لإعادة وصل المدينة بالمطار، بالاستفادة من التعزيزات العسكرية التي تصل تباعاً إلى المدينة». بدوره، قال مصدر حكومي إنّ «مؤسسات الدولة تعمل، ويتم توزيع الخبز مجاناً، مع الاستمرار